جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

# الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

حكمت أحمد الحريري
قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

**الملخص:**

يتضمن هذا البحث جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم لكونه منهج الحياة البشرية بكل مقوماتها، فهو يشمل سائر النظم التي تتمثل في حياة البشر كالنظام الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والدولي.

ومن سمات الإعجاز التشريعي في كتاب الله الكريم أنه يقدم أحكامه بنداءات مدوية في جميع الآفاق وينظر إلى كل العصور المختلفة في الأَفكار والمتباينة في الطبائع، ومن الخصائص العامة لأحكام القرآن أنها شاملة لجميع المصالح، وجامعة بين المرونة والثبات، ومحفوظة من التحريف والتبديل، والمسؤولية في أحكام التشريع تجمع بين العقيدة والسلوك، كما أن مقاصد الاحكام القرآنية هي تحقيق مصالح الناس في هذه الحياة بجلب النفع لهم ودفع الضر عنهم، ويهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان وتحريره من كل عبودية لغير الله عز وجل.

ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن أن بعض آياته تضمنت كليات الأحكام فلم تدع خيرًا إلا أمرت به، ولم تدع شرًا إلا نهت عنه.

ومن هذه الجوانب أيضًا تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس العدالة والأمانة والطاعة في غير معصية الله، وعنايته- القرآن الكريم- بالمرأة وشؤون الآسرة ومسألة الاقتصاد التي هلك بشأنها كثير من الناس.

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم هو ما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام التي لا يكون صلاح الفرد والمجتمع ولا تتحقق السعادة البشرية إلا بها، وفي حال قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه:123- 124].

فالقرآن منهج الحياة البشرية بكل مقوماتها، يشمل التصورات العقائدية التي تفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود والغاية من وجوده، ويشمل النظم التي تنبثق من العقيدة التي يدعو إليها القرآن الكريم وتستند إليه، وأساسها الإيمان بالله عز وجل، والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر.

هذا المنهج- القرآن الكريم- يشمل سائر النظم التي تتمثل في حياة البشر كالنظام الاجتماعي، والنظام

السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الدولي، والنظام الأخلاقي، وكل الأسس التي تقوم عليها هذه الأنظمة المذكورة أو تستند إليها أو تحدد شكلها وطبيعتها أو خصائصها، إنما تنبثق من هذا المنهج الشامل باعتباره منهج حياة يشتمل على تلك المقومات كلها مترابطة، غير منفصل بعضها عن بعض.(1)

القرآن الكريم يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابًا مباشرًا، إذ إنه ليس نظاماً تاريخيًا لفترة من فترات التاريخ، وليس نظاماً محلياً لمجموعة من البشر في جيل من الأجيال، ولا في بيئة من البيئات، إنما هو المنهل العذب المورود الذي لا ينضب معينه في حياة البشر المتجددة، لتسلك الصراط الذي رسمه لها الخالق العظيم المدبر الحكيم سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم:30]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[يوسف:40]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

## دواعي الكتابة في هذا الموضوع:

غير أن الذي دعانا للإسهاب أحيانًا في الحديث عن هذا الموضوع هو ما ذكره أحد الباحثين في كتاب صنفه عن إعجاز القرآن بعنوان (المعجزة القرآنية) حيث قال تحت عنوان (ما لا إعجاز فيه):

"قبل أن نخوض في وجوه الإعجاز الرئيسية والفرعية في القرآن أود أن أنبه إلى أنه قد ذكر كثير من العلماء وجوهًا من الإعجاز في زعمهم، إلا أننا حينما ندقق النظر فيها نجد أنها لا تعدو المزية والفضيلة للقرآن على غيره من الكتب، إلا أنها ليست من الإعجاز في شيء" ص75(!!!).

ثم قال: "تضمنه للحلال والحرام، فقد ذكر الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره أن وجوه الإعجاز في القرآن ما تضمنه من العلم في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام، وهذا أيضًا لا إعجاز فيه(!!!)، وذلك لأن مسألة الأحكام والحلال والحرام ليست مما امتاز به القرآن، بل هي مما عرفته كل الأمم قديمًا وحديثًا وعلى تفاوت بينهم في نوع الحلال والحرام، وبغض النظر عن كون ما حللوه أو حرموه مستندًا إلى شرع أو عقل، أو كانوا مصيبين فيه أم مخطئين، فكل أمة وكل أصحاب دين أو نحلة يزعمون أن عندهم حرامًا وحلالاً ينبني عليها الثواب والعقاب في الدنيا عند الماديين، والدنيا والآخرة عند المتدينين.

ومسألة الحلال والحرام في القرآن مبنية على الإيمان بالله فالمؤمن يسلم بها والكافر ينكرها ويزعم بطلانها.

ولكن المعجزة لا يمكن لإنسان ما أن ينكرها فمن سمع اليوم شيئًا من الإعجاز الغيبي في القرآن أو الإعجاز العلمي لابد له مهما بلغ عناده في الكفر أن يقف ويتردد في مصدر القرآن، بل لابد له أن يذعن في نهاية المطاف أنه ليس من عند البشر إذ لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثل هذا.

ثم قال: فلا يمكن أن نقول لجاحد إن تحريم الزنا وإباحة النكاح، وحل البيع وحرمة الربا، معجزة دالة على صدق الرسول ووجود الله...لأنه هو أيضًا يوجد عنده ممنوع وجائز وواجب وهو من صنعه، وقد يوافقنا في بعض التشريعات، ومع ذلك فما وجد فيها إعجاز ولا غيره ص76- 77.(2)

ويتضح عوار كلام هذا المؤلف من خلال تسجيل الملاحظات التالية:

1. تناقض في كلام الدكتور، ففي صفحة (75) من كتابه يقول:

"أود أن أنبه إلى أنه قد ذكر كثير من العلماء وجوهًا من الإعجاز في زعمهم إلا أننا حينما ندقق النظر فيها نجد أنها لا تعدو المزية والفضيلة للقرآن على غيره من الكتب إلا أنها ليست من الإعجاز في شيء".

ويقول: "بعد أن نقل كلام القرطبي: وهذا أيضًا لا إعجاز فيه وذلك لأن مسألة الأحكام والحلال والحرام ليست مما امتاز به القرآن.." ص76.

فهل كان غير مدقق للنظر ولا متدبر للكلام حينما قال في (ص53) من كتابه المذكور: ويضاف إلى هذا الذي ذكرناه أن التحدي لم يكن في أن يأتي العرب بنظم كنظم القرآن في البلاغة والفصاحة والدقة والجمال فقط، بل كان في كل جانب من الجوانب التي خاض فيها القرآن من الأحكام والحلال والحرام والإخبار عن المغيبات والخوض في العلوم، والدقة المتناهية في كل سور القرآن...

فالتحدي لم يكن قاصرًا على جانب اللغة فقط لأن هذا خاص بالعرب ومن أتقن العربية من غيرهم، بل كان عامًا لكل جانب من جوانب القرآن لأنه كان تحديًا لكل من في الأرض ممن يخالف الدين الجديد!!!

2. إن التحدي بالقرآن ووجوه الإعجاز لا يقتصر على جوانب معينة كما ذكر الدكتور، بل إن القرآن معجز في أحكامه التشريعية كذلك وفي غيرها.

فلما تحداهم بقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[الإسراء:88]، وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:23]، وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء،82]، فقد تحداهم بأحكامه التشريعية حيث قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة،50]، فلا أحد مهما كان رقيه وتقدمه في وضع الأحكام والشرائع يستطيع أن يأتي بمثل أحكام القرآن وتشريعاته.

3. إن القول بإعجاز القرآن من بعض الوجوه ونفيها عن وجوه أخر، ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[البقرة:85] وما أظن أن يقبل بهذا من يؤمن بالله عز وجل وكتبه ورسله، نسأل الله أن يبصرنا بالحق ويهدينا سواء السبيل.

## خطة البحث:

هذا وقد رتبت الموضوع على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

**تمهيد:** من سمات الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

**المبحث الأول:** الخصائص العامة لأحكام القرآن الكريم.

**المبحث الثاني:** مقاصد التشريع في القرآن الكريم.

**المبحث الثالث:** الشريعة الكاملة(توحيد الخالق).

**المبحث الرابع:** كليات الأحكام.

**المبحث الخامس:** تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

**المبحث السادس:** عناية القرآن بالمرأة وشؤون الأسرة.

**المبحث السابع:** معالجته لمسألة الاقتصاد.

## تمهيد:

### من سمات الإعجاز التشريعي:

من سمات الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أنه يقدم أحكامه بنداءات مدوية في جميع الآفاق ويملأ الأرض والسبع الطباق بكل قوة ونضارة، حتى إنه ينظر إلى كل عصر من العصور المختلفة في الأفكار، والمتباينة في الطبائع نظرًا كأنه خاص بذلك العصر، ووفق مقتضياته، ملقنا دروسه، ملفتًا إليها الأنظار.(3)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات:13].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران:71]. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[آل عمران:65-67].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[النساء:59].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ﴾[المائدة:1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة:11].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾[الممتحنة:1].

﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[الأحقاف:29-30]. ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[غافر:7].

﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:69].

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾[سبأ: 10].

فالقرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من قال به صدق ومن علم علمه سبق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾[الإسراء: 9]. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: 2].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[المائدة: 15- 16].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[النور:35].

الله تعالى نور، وكتابه نور، ورسوله نور.

اللهم اهدنا لنورك ووفقنا للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك.

أرأيت الشمس التي هي نور الله تعالى، إذا طلعت يستغني كل الناس عن كل نور سواها، إذا طلعت شمس ولا يحجبها عن الناس حاجب، فلا حاجة عندها للسرج والمصابيح والقناديل، إذا ظهرت الشمس في رابعة النهار، فلا قيمة للسرج والمصابيح والقناديل، إذا أشرقت الشمس بنور ربها وسطع شعاع التوحيد والعبودية لله عز وجل، فما معنى الشرك بالله؟!

وما قيمة الاستغاثة بالأولياء أو بالأصنام أو بالأحجار والأشجار أو الشموس والأقمار؟!!

إذا أشرقت الشمس بنور ربها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا فما جدوى الديانات الوثنية والشركية؟!

وما غناء المبادئ والأفكار والتسميات، التي كونتها ووضعتها العقول البشرية التي اجتالتها الشياطين فحرفتها عن المنهج المستقيم؟!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[آل عمران:83].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:50].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف:40].

فخذ ما صفا ودع ما كدر.

خذ ما تراه ودع أمرًا سمعت به
في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

## المبحث الأول:

## الخصائص العامة لأحكام القرآن الكريم:

تتميز الأحكام الشرعية في القرآن الكريم عن غيرها من الشرائع الوضعية بالأمور التالية(4)

1. عموم الشريعة بحسب المكلفين وبحسب الزمان والمكان فنصوص القرآن الكريم لا يختص الخطاب بحكم من أحكامها بمكلف دون آخر مادام شرط التكليف موجوداً ولا يستثنى من الدخول تحت أحكامها أي مكلف، بل هي تخاطب عامة الناس، وأحكام القرآن بالتالي عالمية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ:28]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:158].

2. أحكام القرآن تجمع بين المرونة والثبات.

قال ابن القيم رحمه الله: (الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة زمانًا ومكانًا وحالاً كمقادير التقديرات وصفاتها، فإن الشارع يتنوع فيها بحسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة وعزر بالعقوبات المالية في عدة مواضع).(5)

3. أحكام القرآن رعايتها شاملة لجميع المصالح.

الأحكام الشرعية في القرآن الكريم تشمل جميع المصالح الدنيوية والأخروية والفردية والجماعية، ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى، ففي تقرير رعاية مصالح الدنيا

والآخــرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[القصص:77].

ففي ربط مصلحة الدنيا بالآخرة حث للناس وتحريض لهم على فعل الخيرات والتزود بالحسنات، وهذا يدفع إلى التضحية ومساعدة الآخرين والتحرر من الأثرة وحب النفس. وفي رعاية المصالح الفردية والجماعية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾[المدثر:38]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴾[النساء:84]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[المائدة:2]. وغيرها من الآيات.

4. نصوص القرآن وأحكامه محفوظة من التحريف والتبديل وهذا دليل على صلاحيتها ومناسبتها لأحوال الناس جميعًا مادامت السماوات والأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:9]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[فصلت:42]، وغيرها.

5. المسؤولية في أحكام التشريع القرآني تجمع بين العقيدة والسلوك.

في الشرائع الوضعية يحاسب الإنسان أمام السلطة القضائية التي يقوم عليها ويضعها مجموعة من الأفراد المتخصصين في الدولة، وهذا الجهاز هو الذي يتولى المراقبة والمعاقبة على المخالفة للأحكام الوضعية.

وقدرة البشر محدودة وعلمهم قليل، ولذلك فإن الاحتيال على القوانين البشرية والقدرة على التخلص من رقابة البشر ميسورة، ومن ثم فإن الفضائح والاختلاسات والجرائم كثيرًا ما تقع وهي واسعة الانتشار في ظل الأنظمة التي تقوم على القوانين الوضعية التي اصطنعها العقل البشري المحدود.

أما في القرآن الكريم فإنه يضعنا أمام سلطة ثلاثية[6]، ولكل واحدة منها أمانة في أعناقنا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[الأنفال:27].

فقد جمعت الآية الكريمة في هذه الكلمات القليلة أنواع السلطات القضائية الثلاث، على النحو الآتي:

1. لا تخونوا الله: المسؤولية الدينية أمام محكمة السماء من فوقنا.

2. والرسول: المسؤولية أمام الناس محكمة البشر من حولنا.

3. وتخونوا أماناتكم: المسؤولية الأخلاقية أمام محكمة الضمير.

وهناك نص آخر يؤكد هذا المعنى ويزيده تفصيلاً، هو قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[التوبة:105].

ففي قوله تعالى:

- ﴿ فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ أمام المحكمة الإلهية.
- ﴿ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ المسؤولية أمام المحكمة الإنسانية.
- ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ المسؤولية أمام محكمة الضمير.[7]

خلاصة القول في هذا، إن القرآن يقف بنا أمام ثلاث محاكم أدبية:

- محكمة الضمير في قلوبنا.
- ومحكمة الرأي العام من حولنا.
- ومحكمة السماء من فوقنا.

وأنه قد أعدنا للوقوف أمام هذه المحاكم بأنواع ثلاثة من التربية لوجداننا هي:[8]

- تربية الوجدان الخلقي.

- وتربية الوجدان الاجتماعي.

- وتربية الوجدان الأدبي.

هذه بعض المزايا التي اختص بها القرآن الكريم عن غيره من الشرائع، مما يتضح لمن تدبر في آياته الكريمة أنه كتاب معجز من جميع الوجوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:89].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنعام:115].

## المبحث الثاني:
## مقاصد التشريع في القرآن الكريم:

والمقصد العام من الأحكام الشرعية التي نصَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية هو تحقيق مصالح الناس في هذه الحياة بجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم، وباستقراء الأحكام الشرعية الكلية والجزئية في مختلف الوقائع والأبواب، وباستقراء العلل والحكم التشريعية المقرونة بكثير من الأحكام يتبين أن مصالح الناس تتكون من ثلاثة أمور، والضروريات والحاجيات والتحسينات.(9)

أما الأمور الضرورية التي تقوم عليها حياة الناس ولابد منها لاستقامة مصالحهم فمرجعها إلى ستة(10) أشياء ولأهميتها وحرص الشريعة الإسلامية عليها فقد وردت النصوص الواضحة بشأنها في كتاب الله عز وجل، وهذه الأمور هي: الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

فالدين الذي هو مجموعة العقائد والعبادات والأحكام التي شرعها الله تعالى لتنظيم علاقة الناس بربهم، قد وردت النصوص في القرآن والسنة لإيجاده وإقامته وتثبيته في القلوب، ومن ذلك النصوص الواردة في بيان أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ووجوب الدعوة إلى الله عز وجل وتوقير الرسل والأنبياء الذين حملوا الدين للناس، والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

وقد شرع لحفظ الدين أحكامًا عدة منها أحكام الجهاد لصد خطر الاعتداء على المسلمين ومحاربة من يقف عقبة في سبيل الدعوة.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الأنفال:39]، وأحكام الردة، حتى لا يقع العبث في الدين، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: (من بدل دينه فاقتلوه). لكنه قبل ذلك لم يجعل الدخول في الإسلام بالقهر والإجبار، ولم يقسر الناس على الالتزام بعقيدة الإسلام، إنما ترك لهم حرية الاختيار ليكون الدخول عن قناعة وطمأنينة قلب، فقال سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[الكهف]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان]

أما النفس فقد شرع الله سبحانه لإيجادها الزواج والتوالد وحثَّ عليه فقال سبحانه: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:3].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ﴾[النساء:25]، وشرع لحفظ النفس وكفالة حياتها إيجاب تناول ما يقيمها من ضروري الطعام والشراب والملبس والمسكن، وشرع القصاص والدية والكفارة على من يعتدي عليها، وحرم إلقاء النفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة:179]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ

﴿ٱلۡقِصَاصُ﴾[البقرة178]، وقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[النساء:29]، وقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾. وغيرها من الآيات.

وأما العقل فقد جاء في القرآن بالمحافظة عليه من النصوص قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة:90].

وأما الأنساب فمن أجل المحافظة عليها فقد شرع الله حد الزنا، فقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[النور:2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[الإسراء:32].

وأما الأعراض فقد شرع لأجل المحافظة عليها جلد القاذف ثمانين جلدة، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[النور:4].

وأما المال فقد شرع القرآن الكريم لتحصيله وكسبه إيجاب السعي للرزق وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارات ولأجل المحافظة عليها وحمايتها شرع قطع يد السارق وحرم السرقة وحرم الغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وحرم الربا.

فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[المائدة:38]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[النساء:29].

ومجمل القول في مسألة المقصد العام من الأحكام التي شرعها القرآن الكريم أن المصالح البشرية التي يتم بها نظام الدنيا ترجع إلى ثلاثة أمور هي:

1. درء المفاسد المعروف عند علماء الأصول بالضروريات، وحاصلة دفع الضرر عن الستة المذكورة آنفًا.
2. جلب المصالح المعروف بالحاجيات، هو ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة ورفع الحرج عنهم، وتخفيف أعباء التكليف عليهم كقصر الصلاة الرباعية للمسافر، والفطر في رمضان للمريض.. وأنواع العقود التي تحصل في المعاملات.
3. ما تقتضيه المروءة من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات المعروف بالتحسينات، وفيه شرعت أحكام تقصد إلى أحسن المناهج وأقومها في أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات، ومن هذه الفروع خصال الفطرة، وتحريم المستقذرات والاحتراز عن النجاسات والتطوع بالصدقات والصلاة والصيام، وتفصيل هذه المسائل في علم يختص بها وهو المسمى بـ: (علم أصول الفقه، ومقاصد الشريعة).

## المبحث الثالث:
## الشريعة الكاملة (توحيد الخالق)

بعد هذا العرض المسهب، لنداءات القرآن الكريم وبيان ثمرة العمل به، وخطورة النظم والتشريعات المضلة التي تعتمد على العقول البشرية، نتناول بشيء من التفصيل جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة:3].

هذه الآية الكريمة نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع يوم الجمعة عشية وقوفه بعرفة، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

ومن الفوائد والأحكام الشرعية التي تستنبط من الآية ما يلي:

1. كمال دين الإسلام وتمامه فلا نقص فيه أبدًا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدًا، بحيث لا يصح الاستدراك على أحكامه وتشريعاته بل هو شامل كامل.

2. إن دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده فلا يسخطه، بل لا يقبل غيره كما صرح بذلك في آيات أخر، فقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:85]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران:19]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة].

3. في بيان إكمال الدين، بيان جميع الأحكام التي تتم بها نعمة الله على عباده وبذلك يتم صلاح حياة الخلق، حيث قال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[المائدة:3].

فهذا نص صريح أن أحكام الشريعة الإسلامية التي قررها القرآن تضمنت كل ما يحتاج إليه الخلق في أمور الدنيا والآخرة.

وهذه ميزة واضحة للتشريع القرآني إذن إنَّ غيره من الشرائع عجزت عن أن تفي بحاجات الناس في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

## اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت:

إن أولى المبادئ وأعظم المسائل التي أولاها القرآن العناية و الاهتمام هي مسألة توحيد الخالق عز وجل، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:48].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:1- 4].

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال عن هذه السورة إنها تعدل ثلث القرآن(11).

وذلك لأن موضوع التوحيد ذكر في القرآن الكريم بما يعدل ثلثه. ومما علم باستقراء القرآن الكريم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**الأول:** توحيد الربوبية وهذا نوع من أنواع التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء من البشر وأقرَّ به المشركون، ولكن لم ينفعهم ذلك ولم ينقذهم من النار، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف:87].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:106].

**الثاني:** توحيد الألوهية، وهذا النوع بعثت الرسل لتحقيقه وتعليمه للخلق، لأنه يتضمن معنى العبادة التي لا يستحقها إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:26].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف:59].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف:65].

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾[الأعراف:73].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾[الأعراف:85].

**الثالث:** توحيد الأسماء والصفات، ويبنى هذا النوع من التوحيد على أصلين هما:

- تنزيه الله تعالى عن مشابهة صفات الحوادث.

- الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسولهﷺ، من غير تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

وقد بين الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات:56-58].

وبين الحكمة التي خلق لأجلها فقال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود:7].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك:2].

ولكي يتحقق حسن العمل من الإنسان يقتضي أن تتوافر فيه الشروط الآتية:(12)

1. أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[الزمر:11]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:5].

2. أن يكون موافقًا لما جاء به النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران:31]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:7].

3. أن يكون العمل مبنيًا على أساس العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[طه:112].

## من ثمرات التوحيد:

ومن أهم ثمرات ونتائج عقيدة التوحيد تحرير الإنسان من ذل الشرك ورقة العبودية لغير الله عز وجل، ومن تسلط الطواغيت ومن أسر الأهواء، فلا الملائكة ولا الجن ولا الأحجار ولا الأشجار ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا الأضرحة والقبور، ولا الملوك والزعماء تنفع شيئًا من دون الله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:255].

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[آل عمران:26-27].

ومن ثمرات توحيد الله عز وجل أيضًا تهذيب السلوك الفردي والاجتماعي والرقي الأخلاقي لدى الأفراد والجماعات، وحياة الضمير والوجدان وذلك عن طريق تنمية الشعور بمراقبة الله عز وجل، فلا يمكن لأي شريعة وضعية كانت أو غيرها عدا شريعة الإسلام أن تفي بمصالح البشرية، وتوازن بين مصالح الإنسان الدنيوية والأخروية، فالديانة النصرانية بعد تحريفها أغفلت إلى حد كبير الجانب الدنيوي من حياة الإنسان، والديانة اليهودية المحرفة أغفلت

الجانب الأخروي، والشرائع الوضعية اليوم تبعتها في ذلك، وكل ذلك مؤداه إلى الشقاء.

## المبحث الرابع:
## كليات الأحكام

ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أن بعض آياته تضمنت كليات الأحكام الشرعية، فلم تدع خيرًا إلا أمرت به، ولم تدع شراً إلا ونهت عنه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90].

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل إن الله يأمر بالعدل والإحسان(13) الآية.

وعن قتادة: ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحب إلا أمر الله تعالى به في هذه الآية، وليس من خلق سيئ إلا نهى الله عنه في هذه الآية.(14)

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: أمر الله تعالى نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب وأنا معه وأبو بكر، فوقفنا على مجلس عليه الوقار، فقال أبو بكر: ممن القوم؟

فقالوا: من شيبان بن ثعلبة.

فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الشهادتين، وإلى أن ينصروه، فإن قريشًا كذبوه.

فقال مفروق بن عمرو: إلامَ تدعونا أخا قريش؟

فتلا رسول الله ﷺ عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية.

فقال مفروق بن عمرو: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك من كذبوك وظاهروا عليك.(15)

فانظر- رحمك الله - فيما يلي كم من آيات بينات وردت في تفصيل هذه الآية المجملة.

فمن الآيات التي تأمر بالعدل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[المائدة:8].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[النساء:58].

ومن الآيات التي تأمر بالإحسان قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة: 195].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[البقرة:83].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[القصص:77].

ومن الآيات التي تأمر بإيتاء ذي القربى قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الروم:38].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[الإسراء:26].

ومن الآيات التي نهى الله فيها عن الفحشاء والمنكر والبغي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾[الأنعام:151].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:33].

ومن الآيات التي جمع فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[النحل:126]، فالعقوبة بالمثل عدل، والصبر الذي هو العفو إحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[الشورى:40]، فجزاء السيئة بالسيئة عدل، ثم دعا إلى العفو، فهذا إحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾[المائدة:45]، تضمنت أيضاً العدل والإحسان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى:41-43]. فمن انتصر بعد ظلمه فهذا عدل، ومن صبر وغفر فهذا إحسان.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:148-149]. إلى غير ذلك من الآيات.(16)

ومن الآيات الجامعة لكليات الأحكام(17) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[الأعراف:29]. فجميع الواجبات محصورة في هذه الآية الكريمة، إذ الواجبات محصورة في حق الله تعالى وحق عباده، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وقد شمل هذا الموضوع (التوحيد) ثلث آيات القرآن الكريم تقريباً، كما ذكرنا من قبل.

وجميع المحرمات محصورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:32].

فكل ما حرم تحريماً مطلقاً عاماً لا يباح في حال فهو داخل في هذه المذكورات في الآية الآنفة؛ ثم إن بيان أنواع الفواحش والبغي بغير الحق.. جاء تفصيله في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم، ليس هذا موضع بسطها والحديث عنها.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:1- 3].

قال الشافعي رحمه الله: لو تأمل الناس هذه السورة لكفتهم.(18)

## المبحث الخامس:
## تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على العدل والطاعة بالمعروف، فإن جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة يقوم على أساس أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:58-59].

قال العلماء: نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل.

ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأديت حقوقهم كما أمر الله ورسوله[19]، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[المائدة:2].

فليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله إلا بحكم الله ورسوله ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:50].

وإذا خرج ولاة الأمر عن هذه فقد حكموا بغير ما أنزل الله ووقع بأسهم بينهم لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).[20]

وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغيره.

والبحث في جوانب الإعجاز التشريعي يطول الحديث عنه لو أردنا استقصاءها جميعًا.

## المبحث السادس:
## عناية القرآن بالمرأة وشؤون الأسرة.

### وعاشروهن بالمعروف

ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم عنايته بالمرأة وشؤون الأسرة، والحكمة من الزواج.

لقد كرم الإسلام المرأة، وأمرها بالاحتجاب رحمة بها وصيانة لحرمتها لكيلا تهان تحت أقدام الذل والمهانة، ولكيلا تكون متعة تافهة لا قيمة لها؛ فتأمل كيف كانت صيانة المرأة حسب توجيهات القرآن، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾[النساء:1]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾[الروم:21]، وقال تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾[النساء:4].

وقـال تعـالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء:7].

وقـال تعـالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[النساء:32]، وقـال تعـالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[البقرة:229]، وقال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:19].

وجعل من مقاصد الزواج طلب الذرية الصالحة التي تطيع أمر الله تعالى وتعبده سبحانه.

قـال تعـالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[الفرقان:63]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:74].

ومن شأن احتجابها المحافظة على عفتها، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:33].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب:53]، وقـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب:59].

وفي سورة النور ورد كثير من الآيات بشأن العفة والاحتجاب وغض البصر وحفظ الفرج، بل إن سبب نزول الآيات الأولى منها حادثة الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

وكثير من الآيات الواردة في السورة هي من قبيل سد ذرائع الزنا والتحذير من قذف المحصنات المؤمنات.

فالأمر بعدم دخول البيوت إلا باستئذان هو من هذا القبيل، وكذلك تشريع حد القذف، وبيان حد الزنا، والحث على النكاح(21)، وذكر العورات الثلاث: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾[النور:58].

كل هذه التشريعات هي من قبيل سد ذرائع الزنا، فتأمل السورة وتفسيرها.

أما حال المرأة في ظل الشرائع الوضعية في الغرب ومن سلك مسلكهم وقلدهم، فلم تعد إلا سلعة رخيصة لا قيمة لها على الحقيقة، لقد أخرجت المرأة من بيتها ومزقت حجابها، علمًا بأن الحياة العائلية لا تدوم بغير المحبة والاحترام بين الزوجين، والتبرج والسفور يزيل عن المرأة هيبتها وعفتها.

وكم سمعنا وقرأنا عن معاناة المرأة وشقائها في المجتمعات الغربية التي خرجت عن منهج الله، وكم من أمراض فتاكة انتشرت في تلك المجتمعات.

## المبحث السابع:
## معالجته لمسألة الاقتصاد.
### لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم معالجته لمسألة الاقتصاد التي هلك بشأنها كثير من الناس ونشبت بسببها حروب كثيرة على مدى التاريخ البشري فقد أوضح القرآن أصولها التي ترجع إليها جميع الفروع الاقتصادية ومرجعها إلى أصلين(22) هما:

- حسن النظر في اكتساب المال.
- حسن النظر في التصرف به.

فمن حيث حسن النظر في اكتساب المال ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الطرق المشروعة في اكتسابه بالأسباب المناسبة والموافقة للدين والمروءة، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة:198]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة:10]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾[البقرة:275]، وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف:46]، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:188]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[النساء:29].

ومن حيث الأصل الثاني وهو حسن النظر في التصرف بالمال فقد أمر سبحانه وتعالى بالاعتدال والاقتصاد في صرف المال، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء:29]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان:67]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[البقرة:219]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[النساء:5].

ونهى عن كنز المال ومنعه عن الفقراء وعن الشح، وحث على الزكاة، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[التوبة:34]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور:33]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:9]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة:43].

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:103].س

إن جميع الأنظمة والشرائع الوضعية عجزت وما تزال عن تقديم نظام اقتصادي متكامل، خال من الغش والخديعة والاحتيال كالنظام الاقتصادي الذي قررته شريعة القرآن الكريم.

في الأنظمة الوضعية يحاول أصحاب الأموال والثروات التخلص من دفع الضرائب أو التقليل منها، لأنها في نظرهم ليست إلا نقصًا من حقوقهم، وإذا دفعوها لا يكون عندهم أي شعور بالرضا والقبول.

بينما نجد أن المتصدق في المجتمع الإسلامي الذي يحكم بشريعة القرآن حينما يدفع جزءاً من ماله كزكاة أو صدقات، يقدمها على أنها قربة لله، ويحسب أن الله سيبارك له في ماله، فهو يدفعها بالرضا والسرور.

إن الشرائع الوضعية القائمة في بلاد الغرب ومن سار في فلكه لم تستطع بكل جمعياتها الخيرية ونظمها الجبارة ومؤسساتها التربوية أن تحقق مثل الأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن في المسألتين التاليتين من الجانب الاقتصادي: [23]

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾.

فالمجتمع لا يمكن أن يعيش بسلام ووئام إلا إذا كانت العلاقة قائمة على التوازن بين الأغنياء والفقراء، بين العوام والخواص، وأساس هذا التوازن عن طريق رحمة الخواص الأغنياء وشفقتهم على العوام الفقراء، واحترام العوام للخواص.

في المجتمع الإسلامي الذي طبق شرائع القرآن والتزم بأحكامه تحقق هذا السلام والوئام، ووجدت الرحمة بالفقراء، وحصل للخواص الاحترام، بينما المدنية الغربية والشرائع الوضعية بكل جمعياتها ومؤسساتها وبكل وسائل نظامها عجزت عن الصلح بين تلك الطبقتين، بل إن الهوة تزداد في ظل هذه الأنظمة بين الأمم والشعوب، لأن الأنظمة الوضعية تسعى لتحقيق أمرين هما: [24] "إن شبعت فلا علي أن يموت غيري من الجوع".

" اكتسب أنت لأعيش أنا، واتعب أنت لأستريح أنا".

هذا هو حقيقية وضع النظام الاقتصادي في أكبر إمبراطورية اليوم.

يفسر هذا الموضوع، ويظهر هذه الحقيقة، ما حصل في الصومال وأفغانستان، والعراق، وفلسطين، وما يسمى الاتحاد السوفيتي سابقاً، وغيرها من البلاد التي تعاني من ولايات الحروب، ولا يخفى على عاقل القوى التي تسعرها.

## الخاتمة:

بعد أن عرضت بحمد الله وحسن توفيقه جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ما تضمنه من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وسائر الأحكام التي لا تصلح حياة الناس إلا بالعمل بها والتزامها لقوله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم".

1. لأحكام القرآن خصائص عامة تميزها عن غيرها من الشرائع كافة منها عموم الشريعة بحسب حال المكلفين، فلا تختص أحكام القرآن بمكلف دون آخر وأنها –أحكام القرآن- تجمع بين المرونة والثبات، وأن رعايتها شاملة لجميع المصالح الدينية والدنيوية والفردية والجماعية بل لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، وأنها محفوظة من التحريف والتبديل، والمسؤولية في التشريعات القرآنية تجمع بين العقيدة والسلوك.

2. وجوه الأعجاز في القرآن الكريم شاملة فهو معجز في أسلوبه ونظمه وبلاغته وأسلوبه، كما أنه معجز في مختلف الوجوه والجوانب الأخرى كإخباره عن الغيب الموغل في القدم وما سيكون إلى قيام الساعة لأنه كلام عالم الغيب والشهادة والذي خلق كل شيء، ومعجز أيضًا في العلوم التي يذكرها، والتشريعات التي أمر البشرية أن تحتكم إليها.

3. من سمات الإعجاز القرآني أنه يقدم أحكامه بنداءات مدوية في جميع الآفاق وتملأ السبع الطباق بكل قوة ونضارة لكل جيل وفي كل عصر.

4. إن أولى المبادئ وأعظم المسائل التي أولاها القرآن عنايته واهتمامه مسألة توحيد الخالق عز وجل هذا المبدأ الذي دعا إليه جميع الأنبياء والرسل، ومن أعظم ثمرات التوحيد تحرير النفس البشرية من رق العبودية لغير الله عز وجل

وإخلاص العبادة لله وحده، فلا إله غيره ولا رب سواه، وهذا من أعظم المكاسب التي تتحقق للإنسان فإن العزة لله ورسوله وللمؤمنين.

5. من جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن أن بعض آياته تضمنت كليات الأحكام الشرعية كقوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي". الآية

وقوله: قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين".

وقوله: "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

6. ومن جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكوم وقيامها على العدل في الحكم بين الناس وطاعة أولياء الأمور بالمعروف وفيما لا معصية فيه.

7. ومنها عناية القرآن الكريم بالمرأة وشؤون الأسرة وتكريم المرأة وإعطائها حقها، وهذا خلاف الشرائع الوضعية كلها في مختلف مراحل التاريخ، فلم تنل مكانتها الحقيقية في غير دين الإسلام.

8. ومنها معالجته لمسألة الاقتصاد التي هلك بشأنها كثير من الناس ونشبت بشأنها الحروب التي أفنت ملايين البشر.

ختامًا: أود أن ألفت عناية كل من يكتبون في إعجاز القرآن الكريم إلى أن من يولي الإعجاز التشريعي ما يستحقه من الرعاية والعناية والاهتمام، فإن ذلك يدخله في قوله تعالى: "الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر".

**وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.**

## الهوامش:

(1) انظر: (المستقبل لهذا الدين ) ص5، لسيد قطب، طبعة دار الشروق - لبنان.

(2) المعجزة القرآنية د. محمد حسن هيتو. مكتبة الرسالة

(3) انظر: ( المعجزات القرآنية) ص9. سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. بغداد 1410هـ.

(4) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص42،49، د. يوسف حامد العالم. دار الحديث. القاهرة.

(5) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية [572/1]، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، طبعة دار ابن الجوزي- السعودية.

(6) دراسات إسلامية، د. محمد عبدالله دراز ص67. دار القلم - الكويت.

(7) المصدر السابق ص68.

(8) المصدر السابق ص73.

(9) انظر: علم أصول الفقه ص204، لعبد الوهاب خلاف.

(10) واعتبرها بعض العلماء خمسة حيث جعل الأنساب والأعراض شيئًا واحدًا.

(11) صحيح مسلم. كتاب صلاة الخوف، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم الحديث [812].

(12) انظر: محاضرة للشيخ محمد أمين الشنقيطي مطبوعة ضمن كتاب( بهجة الناظرين) ص505، رتبه: عبد الله جار الله الجار الله.

(13) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [950/4].

(14) التفسير الكبير للرازي [259/7].

(15) انظر: البداية والنهاية لابن كثير [139/3]، دار الحديث - القاهرة، دلائل النبوة للبيهقي [422/2]، ابن عساكر في تاريخ دمشق [239/17].

(16) انظر: أضواء البيان. محمد أمين الشنقيطي [260/3]، دار الكتب العلمية - بيروت.

(17) انظر: طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ص212، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

(18) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي [546/4]، وبدائع التفسير لابن القيم [326/5]، طبعة دار ابن الجوزي - السعودية.

(19) السياسة الشرعية لابن تيمية ص6، مكتبة المؤيد - الرياض.

(20) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن من باب العقوبات. رقم الحديث [4019] ج2 ص1332، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم [106].

(21) انظر: أنوار التبيان في أسرار القرآن، للقاضي شمس الدين ص415.

(22) انظر: محاضرة الشيخ محمد أمين الشنقيطي ص509، مطبوعة ضمن كتاب بهجة الناظرين، ترتيب عبد الله الجار الله.

(23) انظر: المعجزات القرآنية ص94، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. بغداد 1410هـ.

(24) انظر: نفس المرجع والصفحة.